مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ الكَافِرُونَ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الكافرون

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الكافرون

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾

ابتدأت سورة الكافرون بأمر من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجهر ويعلن براءته، وبراءة دين الله تعالى من الشرك، ظاهراً وباطناً. وبدأ التوجيه الكريم بالنداء لهم بصفة الكفر التي هم عليها.

فقال عَزَّ وجل ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً للكافرين ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والأوثان. وفي هذا إظهار التباين والتضاد والمخالفة الواضحة التي هم عليها، بما يُبطل عبادتهم، ويُظهر لهم فسادها، وأنها عبادة مضادة لما يجب، ولِمَا أمر اللهُ تعالى به، وأنها مختلفة عن دين الله تعالى القائم على توحيد الله عَزَّ في علاه، وإفراده بالعبادة.

وقد ابتدأ البيان الكريم بفعل الأمر ﴿ قُلْ ﴾ الذي يفيد الإخبار والإعلان لهم بحقيقة كفرهم. وقد تم تسميتهم بما هم عليه من الكفر، فقال الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فقل لهم، مخاطباً لهم أيها الرسول بصفتهم الدينية التعبدية التي هم عليها، بأنهم قوم كافرون، على غير طاعة ربهم تبارك وتعالى، وأنهم منكرون ومكذبون بما يجب الإيمان به أولاً، وهو توحيد ربهم عَزَّ وجل، وصرف العبادة له جَلَّ جلاله كما يجب، ووفق ما جاء به الرسول صلى الله عليها وسلم.

واستخدم البيان في مخاطبتهم أسلوب النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ وهذا النداء يحمل في دلالته لفة الانتباه، ووجوب إرعاء السمع، وأخذ الأمر بجد فيما تضمن من توجيه وبيان، بما يفيد أخذه بعزم وأهمية وجدية، وكذلك تضمن تسمية الْمُخَاطَبين بصفة الكفر، الدالة على مناقضة الإسلام والاستسلام لله تعالى بالتوحيد.

ثم أظهر لهم ما هم عليه، وامتناعهم عن توحيد الله عَزَّ وجل، وإفراده بالعبادة. فقال الله تعالى وقل لهم ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ ولا أنتم بهذه العبادة من الشرك عابدون الله تعالى الذي أعبده. بما يبين ويُظهر المفارقة والتباين العظيم معهم. وأنهم بهذا السبب هم كافرون غير مطيعون ومستجيبون لله تعالى

فيما بينه وأوضحه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن عليهم اتباع دين الله عَزَّ وجل إن أرادوا الخروج من كفرهم الذي هم عليه.

ثم ازداد البيان التأكيدي لهم ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ ولا أنا بعابد ما تعبدون من دون الله تعالى أبداً. وهو تأكيد بعد تأكيد، ونفي بعد نفي. بما يقطع عنهم التفكير المستقبلي في أن يماثلهم، أو يتنازل عن شيء من دين الله عَزَّ في علاه. لتأصيل المفارقة، وعدم العدول عنها. بما يُبِن لهم أنهم على مخالفة لتوحيد الله تعالى، وأنهم على الكفر قائمون. واستحثاث لهم على الأولى، وهو اتباعه صلى الله عليه وسلم.

وكما بين وأكد ما هو عليه صلى الله عليهم وسلم من التوحيد، يؤكد لهم عنادهم وإصرارهم على ما هم عليه من الباطل ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فلا أنتم بهذه العبادة من الشرك عابدون لربكم تبارك وتعالى، فإن الأولى لكم اتباع ما جاءكم من الحق. بما يفيد أنكم إن بقيتم على ما أنتم عليه في قادم أيامكم، فإنكم باقون على كفركم. فليس هناك دين يقبله الله تعالى إلا ما جاءكم به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم يختم الله تعالى سورة الكافرون بإثبات المفارقة التي لا يمكن الجمع بينهما أبداً، فقال عَزَّ وجل: قل لهؤلاء الكفرة ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ فإن بقيتم على ما أنتم عليه، فلكم دينكم من الكفر، وأنا لي ديني من توحيد ربنا، وعبادته بما شرع. وهو أسلوب يفيد المتاركة التي تحمل الإنذار والتهديد.

وبهذا تؤكد وتبين سورة الكافرون وجوب الإخلاص لله تعالى، وكمال الطاعة وفق ما أمر وشرع الله جَلَّ جلاله. وذلك بإفراده بالعبادة، وتوحيده بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ومتابعة دينه وفق ما أُنْزِل على الرسول صلى الله عليه وسلم. وأنه لا يمكن الجمع بين منهج دين الله تعالى، وأنواع الشرك والبدع والاختراع والابتكار في الدين. وأن دين الله تعالى واحد، وخالص في توحيده لرب العالمين، وأن من أشرك فقد كفر بالله تعالى.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الكافرون. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.